في سوريـا، وفي العـراق. أي انـه لم ينتقل أي بلد دفعة واحدة وبين يوم وليلة، من الهيمنة الاستعمارية الى الاستقلال الكامل، بما في ذلك جلاء القوات الاجنبية. لقد كانت المراحل هي القاعدة. وأرى ان ذلك ينطبق على فلسطين. أما ما هي المراحل التي يجب التفكير فيها، فذلك ليس من اختصاصي التناقش فيه. يجب، سلفاً، قبول سيـاسـة المراحل؛ واذا رفضت، فليأتونا بسياسة أفضل. أما أنا، فيبدو لي، بوضوح، أنه ليس هناك تقدم، والتوصل الى تحرير فلسطين بدون مراحل شيء عسير. تلك هي نظريتي في تسوية المشكلة الفلسطينية، التي هي مشكلة استعمار، وأحد المظاهر القليلة المتبقية للعهد الاستعماري» (**المصدر نفسه**، ص ٥٧ ـ ٥٨).

واشتدت المعركة حول آراء بورقيبة. وقد لوحظ ان الصحف المصرية تجنّبت مهاجمته، وانها كانت تنشر آراءه التي يدلي بها في بيروت والكويت وتركيا وايران باقتضاب شديد. وبعد عودة بورقيبة الى تونس، انتشرت شائعات في العالم العربي مفادها ان بورقيبة قال ما قال بعد ان اتفق عليه مع الرئيس جمال عبدالناصر، في أثناء زيارته القاهرة. ولم يكن هذا صحيحاً. وعلى العموم، فقد تدهورت العلاقات بين مصر وتونس، لأن بورقيبة عارض مصر في قطع علاقاتها مع المانيا الاتحادية، والتي كانت قضيتها تتزامن مع العاصفة التي أثارتها تصريحاته.

وكان أول، وأعنف، هجوم من القاهرة ضد بورقيبة هو الذي شنّه محمد حسنين هيكل في مقالته «بصراحة». كتب:

«لقد كانت هناك مسألتان ثارت من حولهما الضجّة فيما ادلى به سي الحبيب من تصريحات. المسألة الاولى، هي ما فهم من كلام سي الحبيب من أنه يتصور امكانية تعايش سلمي بين الشعوب العربية واسرائيل. وفي هذه المسـألة، فأني أميـل الى قبول التصحيح الذي حاول به سي الحبيب ان يتدارك أثر ما فهم من كلامه. كان التصحيح الذي أصدره، ورددّه عنه حزبه في تونس ووزير خارجيته المنجي سليم في القاهرة، هو ان سي الحبيب كان يقصد امكانية التعايش السلمي بين الشعوب العربية وبين أقلية يهودية تسكن بينهم، بعد القضاء على اسرائيل. تلك وجهة نظر تقبل المناقشة على أي حال، بعد تصفية اسرائيل، واذا كنت اميل الى قبول تصحيح بورقيبة لما فهم عنه في هذه المسألة، فعن اعتبارين:

«○ لا أظن عربياً، مهما كان، يتصور امكانية تعايش سلمي بين الشعوب العربية واسرائيل.

«○ من ناحية أخرى، فلماذا نصرّ على تكذيب الرجل اذا ما قال، هذا ما كنت اعنيه، وغيره سوء تعبير منّي أو سوء فهم عنّي. ليكن. وتبقى بعده مسألة ثانية...» (محمد حسنين هيكل، «بصراحة»، **الاهرام** (القاهرة)، ١٩٦٥/٣/٢٦).

ثم ناقش هيكل موقف بورقيبة من دعوة قطع العلاقات مع المانيا الاتحادية وصبّ عليه هجومه الرئيس. وواضح ان هيكل، الذي كان يعبّر عن آراء واتجاهات الرئيس الراحل عبد الناصر، ركز الاهتمام على موضوع المانيا ومحاولة تجاوز آراء بورقيبة بالنسبة الى القضية الفلسطينية، وان كان قد حدد موقف مصر القاطع فيها (**المصدر نفسه**).

تصعيد الحملة

وأصبحت القاهرة المصدر الرئيس لتحديد تحركات الدول العربية، في ما يخص قضية فلسطين. وفي الاول من نيسان (ابريل) ١٩٦٥، عقدت فيها ندوة فلسطين العالمية، حضرتها شخصيات سياسية وصحافية من جميع انحـاء العالم؛ ودارت خلالها مناقشات واسعة حول طرق حل القضية. وفي اشارة غير مباشرة الى تصريحات بورقيبة، قال الامين المساعد للجامعة العربية، سيد نوفل، في كلمته، خلال الندوة:

«[ان] اسرائيل احتلت وطناً عربياً، وشرّدت ابناء هذا الوطن، واستقدمت حثالة البشر لتكوين دولة عنصرية؛ وذلك كله يجعل قرار الامم المتحدة بقبول عضوية اسرائيل قراراً باطلاً» (**المصدر نفسه**، ٢/٤/١٩٦٥).

لكن وزيـرالدولة البـريـطاني الاسبق، انتـوني ناتنغ هاجم أساليب الدعاية العربية وأدلى برأي مخالف